٦

نظرة المستشرقين الى الأدب العربي في العصر الوسيط

موقفهم من صفي الدين الحلي (٧٥٠هـ) اختياراً

Orientalists' view of Arabic literature

in the Middle Ages

Their position on

Safi al-Din al-Hilli (750 AH) by choice

أ.م.د علي عيسى محسن

الجامعة المستنصرية / كلية الاداب / الجامعة المستنصرية

Asst. Prof . Dr . Ali Issa Muhsen

ملخص البحث

مثلت النظرة السلبية لأدب العصر الوسيط اتجاهاً عاماً لدى المستشرقين الأوربيين، بسبب الاسقاطات السياسية وقلة الاطلاع، وقد تأثر الباحثون العرب والمستشرقون الروس بهذه النظرة، حتى مع اقتراب المستشرقين الروس من روحية الاسلام بسبب انتشاره في بعض مناطق روسيا ودول الاتحاد السوفيتي السابق .

وكان موقف المستشرقين من الشاعر صفي الدين الحلي انموذجاً لوجهة النظر المضطربة، فقد أقر المستشرق الانكليزي نيكلسون انه قليل الاطلاع على أدب العصر الوسيط، ولذا جاء تقييمه للحلي مضطرباً، فهو يشايع تارة معاصري الشاعر بالقول أن شعره يتسم بالعذوبة والسهولة ودقة الخيال، ثم يعود للقول ان شعره يتسم بالتكلف واستخدام الالاعيب البلاغية واللغوية التي شاعت في أواخر العصر العباسي وتسيدت المشهد الأدبي في العصر الوسيط .

وقد نقل الباحثون العرب أراء المستشرقين الاوربيين فيما يتعلق بتاريخ الأدب العربي، وتسربت هذه الاراء الى الدراسات الروسية بفعل الترجمة والتأثر بالاستشراق الأوربي، ولم تتعمق فيها ولم تقدم جديداً، وخير مثال على ذلك كتاب (الأدب العربي) للمستشرق الروسي فيلشتنسكي .

الكلمات المفتاحية

الاستشراق ، العصر الوسيط ، صفي الدين الحلي ، نيكلسون

Abstract

The negative view of medieval literature represented a general trend among European orientalists, due to political projections and lack of knowledge, and Arab researchers and Russian orientalists were affected by this view, even with the approach of Russian orientalists to the spirit of Islam because of its spread in some regions of Russia and the countries of the former Soviet Union.

The position of orientalists of the poet Safi al-Din al-Hilli as a model for the troubled point of view, the English orientalist Nicolson acknowledged that he had little knowledge of the literature of the Middle Ages, and therefore his assessment of the ornaments was turbulent, it sometimes rumors contemporaries of the poet by saying that his poetry is characterized by sweetness, ease and accuracy of imagination, and then returns to say that his poetry is characterized by cost and the use of rhetorical and linguistic games that were common in the late Abbasid era and dominated the literary scene in the Middle Ages.

Arab researchers have transferred the views of European orientalists regarding the history of Arabic literature, and these opinions leaked into Russian studies due to translation and influence by European Orientalism, and did not delve into them and did not provide new, and the best example of this is the book (Arabic literature) by the Russian orientalist Wilsztynsky.

Keywords

Orientalism - Middle Ages - Safi al-Din al-Hilli - Nicolson

- **مقدمة**

ظل التصور السلبي المجتزئ للعصر الوسيط وأدبه سائداً لفترة طويلة وألقى بظلاله على اتجاه الدارسين لمقاربة هذا الأدب، ومن الميسور الاستدلال هنا على طلائع هذا التصور فقد ورد أولاً في كتب الحضارة الاسلامية التي وضعها المستشرقون الغربيون، وفي الوقت الذي أحسن فيه هؤلاء الى الحضارة العربية الاسلامية في الحقب الأموية والعباسية والأندلسية بخسوا حق هذه الحضارة في اطوارها المتأخرة في العراق وبلاد الشام ومصر .

ويمكن الاشارة هنا مثلاً الى رأي المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) الذي كتبه في نهاية القرن التاسع عشر وكان مُنصفاً الى حد بعيد في مقاربته للحضارة العربية وخصص باباً كاملاً تحت عنوان (انحطاط حضارة العرب) ذكر فيه أثر حضارة العرب في أوربا وموقعهم من حضارة العالم وأورد اسبابا موضوعية لتراجع الدور العربي[١] ولكنه تخلى عن الانصاف حين تكلم عن حاضرهم في القرن التاسع عشر (وكان العرب قد تواروا عن التاريخ حوالي عصر النهضة ، ولانقدر ان نقول شيئا عما يمكن ان يصلوا اليه لو لم يتواروا ، ولكننا لانعتقد مع ذلك، انهم كانوا يبلغون مستوى أفضل مما بلغوا ... ولكننا إذا حملنا على المقابلة بين هذين الدورين قلنا: أن اكابر العرب السابقين دون اكابر الزمن الحاضر) [٢] .

ويصطلح ويل ديورانت على تلك الحقبة تسمية العصور المظلمة في خضم حديثه عن نتائج الغزو المغولي والحروب الصليبية بين المسلمين والأوربيين (...وخسر الغرب الحروب الصليبية، ولكنه ربح معركة الأديان، فقد طُرد كل مسيحي محارب من الأرض المقدسة، ولكن المسلمين ، وقد استنزف النصر البطيء دماءهم ، وخرب المغول بلادهم، مرت بهم فترة من العصور المظلمة ساد فيها الجهل والفقر، على حين ان الغرب المنهزم قد انضجه مابذل من جهود، فنسي هزائمه، وأخذ عن أعدائه التعطش الى العلم والولع بالرقي، فأقام الكنائس عاليةً تناطح السماء، وأخذ يجوب ميادين العقل) [٣] .

وقد نجد العذر والمبرر للمستشرقين الغربيين فيما يذهبون اليه لأنهم يصدرون عن منابع ثقافية نائية عن الفكر والحضارة العربية، أو لأنهم يخدمون مراكز بحثية علمية تنظر بعين العسف للحضارات الشرقية عامة، ولكن يصعب فهم اللهجة النكراء التي توصف بها هذا الحقبة من قبل بعض الدارسين العرب المعاصرين للمستشرقين، فنحن نجد مثلاً بطرس البستاني يسميه (عصر

الانحطاط) ويعده عصراً عباسياً رابعاً (بان الضعف على الشعر في العصر العباسي الرابع ، وتلقاه عصر الانحطاط بكوارثه ومجازره، وبوابل منهمر من العناصر الأعجمية لاتأتلي في افساد اللغة ، وتشويه فصاحتها، فانحدر الشعر الى أدنى الدركات ، وكان له بعض الرونق في أوائل العصر ، فجفَّ ماؤهُ، وخبُث طعمه في أواخره . وطبيعي ان يسقط الشعر ويهوي من سمائه ، وقد تواضعت على أذاته عوامل متعددة . فمن فصاحة آضت الى العجمة والرطانة، ومن قرائح أرمضها الشح والجفاف ، ومن أذهان اخلقها الخمول والجمود، ومن نفوس أضرعها الرعب والخنوع، ومن ملوك أزرت بالشعر والشعراء)[٤] .

ويشايع حنا الفاخوري ماذهب اليه البستاني فيسميه عصر الانحطاط (كان هذ العصر وبالاً على الأدب، بدد المغول نفائس المخطوطات، واحرقوا المكاتب، وشردوا رجال العلم، في البلاد التي استحوذوا عليها، ونجت مصر من شرهم كما ان الشام عادت فدخلت في حكم المماليك، فكان هذان البلدان أرقى البلدان العربية أدباً ... ولما جاء العهد العثماني انحط الأدب العربي الى اسفل الدركات لشيوع التركية في المخاطبات والمراسيم والدواوين، وتسلط الخمول على العقول، والتقليد على المعاني، والصناعة المقيتة على الأساليب) [٥].

وتوالى بعد ذلك– بوحي من التقليد وقلة المصادر التي تتناول هذه الحقبة – ظهور بعض الدراسات العربية التي تزري بهذه الحقبة وأدبها فيسمي محمد اسعد طلس هذه الحقبة بعصر الانحدار [٦]، ويسميها جعفر الخياط الأعصر المظلمة[٧]، ويمتد نظر مير بصري الى القرن التاسع عشر في العراق فيراه عصر الانحطاط الأخير [٨].

وثمة مدرسة استشراقية أخرى نشأت متأخرة قياساً الى المدرسة الاوربية وعنيت بالحضارة العربية الاسلامية وكانت أكثر انصافاً في مقاربتها وهي المدرسة الروسية، ويمكن تقسيم الاستشراق الروسي الى ثلاث حقب تاريخية :

١– **حقبة القياصرة:** وفيها بدأ الاستشراق الروسي بداية أكاديمية مع مطلع القرن التاسع عشر حين اصبحت اللغة العربية – ضمن لغات شرقية أخرى – ضمن مناهج الدراسة الجامعية في جامعة خاركيف سنة ١٨٠٤ ثم في جامعة قازان سنة ١٨٠٧ ثم جامعة موسكو سنة ١٨١١ وغيرها من الجامعات تباعاً، ثم بدأ العمل على ترجمة وتحقيق وطباعة مختارات

من الأدب العربي القديم، وتميزت هذه الحقبة بطابعها الديني أول الأمر وتركزت في لبنان وسورية وفلسطين حيث المذهب الارثدوكسي وافادت من جهود بعض العلماء المصريين والشوام، ثم اتخذ الاستشراق الروسي في نهاية القرن التاسع وحتى الثورة البلشفية نهجاً علمياً صرفاً [٩].

٢- **الحقبة السوفيتية:** وفيها توجه الاستشراق الى تراث العرب الفكري من وجهة نظر ماركسية على اساس مادي تاريخي من حيث المنهج ، وعلى اساس الاشتراكية العلمية من حيث الايدلوجيا [١٠]، وتم التركيز فيها على علاقة اللغة العربية باللغات الشرقية، والاهتمام بالحركات الشعوبية في التاريخ العربي واعتبارها حركات ثورية، ومواكبة الاستشراق الغربي الذي وصل الى مراحل متطورة [١١]، وتم التركيز ايضا على المصنفات المدرسية التي تتناول اللغة العربية وأدبها ليتم دراستها في المعاهد الاستشراقية [١٢] .

٣- **الحقبة مابعد السوفيتية** : وتتماز بالبراغماتية وينحصر اهتمامها ببعض القضايا العامة والدراسات الادبية والافكار غير الفلسفية نظراً لتراجع دور الاستشراق في روسيا وضعف الدعم المالي للابحاث، ويقتصر نشاط الباحثين الروس الان على أقامة الندوات والقاء المحاضرات والتواصل مع الباحثين العرب [١٣] .

يقترب الاستشراق الروسي من الروحية الاسلامية نظراً لدخول مناطق كثيرة من روسيا ودول الاتحاد السوفيتي السابق في الاسلام منذ ايام المغول، وانتشار المساجد ومعاهد تعليم القرآن الكريم والحديث الشريف، وبفضل الحجاج المسلمين والتجار والرحالة[١٤]، ولذلك فهو أقرب الى فهم التراث العربي الاسلامي من الاستشراق الأوربي والامريكي، حتى وان شهدت الحقبة السوفيتية تغير النظرة الى الاسلام بل والتهجم على النبي الاكرم (صلى الله عليه وسلم) والقرآن كما فعل المستشرق يفغيني بليائيف في محاولة للقضاء على الاسلام في روسيا [١٥] .

ويمكن اعتبار حصيلة الاستشراق الروسي ضئيلةً بسبب قلة المؤلفات الاستشراقية الروسية المترجمة الى العربية، وضغط الكنيسة الشرقية وايدلوجية النظام الشيوعي، والتركيز على العموميات في دراسة الاسلام واللغة العربية دون التعمق في مقاربتهما[١٦].

كانت رؤية الاستشراق الروسي للعصر الوسيط مختلفة عن رؤية الاستشراق الغربي، وليكن كتاب (تاريخ الحضارة الاسلامية) للمستشرق الروسي فاسيلي بارتولد المتوفى سنة ١٩٣٠ مثالاً

لهذه الرؤية، ويحظى هذا المؤرخ باحترام كبير بوصفه من اكبر المتخصصين الروس بشؤون العالم الاسلامي [١٧]، وقد وضع كتابه هذا قبل الثورة البلشفية .

يرى بارتولد ان بغداد ازدهرت في كل المجالات في العصر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وبدأ دورها بالتراجع مع الغزو البويهي [١٨]، وان مصر منذ تأسيس القاهرة ايام الفاطميين بدأت بمنافسة بغداد وان نشاطها العلمي والأدبي تفوق في كثرته على الحواضر العربية ولاسيما في عصر المماليك، اما بلاد الشام فلم ينبغ أحد من شعرائها بعد المعري، وانتهى العصر الذهبي للشعر الاندلسي ابتداءا من القرن السادس الهجري [١٩]، وان النشاط العلمي العربي تراجع عموما حتى مع كثرة الانفاق على العلماء ولاسيما في مصر، ولعله يقصد هنا انحسار العلوم العقلية كعلم الكلام والمنطق لصالح العلوم النقلية كالفقه والحديث واللغة والتفسير.

ويقدم بارتولد رؤية مغايرة تماماً للأثر الذي تركه المغول في البلدان التي اجتاحوها، فقد خصص فصلاً كاملاً عنهم سماه (فتوح المغول وتأثيرها في العالم الاسلامي) ونقل فيه ماأورده رشيد الدين الهمذاني في كتابه (جامع التواريخ) عن تاريخ المغول، وذكر فيه باسهاب حياة الاستقرار والعمران والنشاط العلمي والأدبي ورواج التجارة الذي شهدته الصين وايران خلال حكم المغول معتبراً هذا العصر عصراً ذهبياً، ولاينسى هنا الاشارة الى تكذيب الرأي القائل بتدمير المغول للحياة المدنية في البلاد التي احتلوها، ويعد بارتولد دور المغول امتدادا لما قدمه العرب والفرس للحضارة الانسانية [٢٠] .

ومايهمنا هنا هو اشارة سريعة أوردها بارتولد تخص عدم اهتمام المغول بالعلوم النقلية كالأدب في بعض البلدان التي اجتاحوها مقابل اهتمامهم بعلوم اخرى كالطب والرياضيات، وذلك عطفاً على ماذكره من ازدهار الأدب الايراني وربما يكون المقصود هنا هو الأدب العربي في العراق (ولاشك ان ملوك المغول لم يعنوا بالأداب المحلية، ولم يبالوا بالعلوم الدينية بالطبع قبل اعتناقهم . ولكنهم اجتهدوا لانهاض حياة المدن وترقية الصناعة والتجارة، مراعين في ذلك منافعهم الخاصة . وقاموا بحماية العلوم ذات الخطورة العملية الخاصة كالطب والرياضة والهيئة) [٢١] .

وقد خصص بارتولد فصلاً كاملاً عن القرن التاسع الهجري، وبين فيه ملامح ازدهار الدولتين العثمانية في تركيا والصفوية في ايران، لافتا الانتباه الى القدرات العسكرية المتميزة للعثمانيين، وقد

أقر بتراجع المشرق ثقافياً مقارنة بازدهار اوربا بفضل انتشار الطباعة وخصوصا بعد عصر النهضة [٢٢]، ولكنه لم يذكر شيئا عن احوال الدول العربية الواقعة تحت الاحتلال العثماني .

وبغض النظر عن تقييمنا لرؤية بارتولد غير المتكاملة للحضارة الاسلامية، يمكن القول ان تقديم الاستشراق الروسي رواية أخرى مختلفة عن رواية الاستشراق الغربي فيما يخص الحضارة الاسلامية جهد محمود يستحق التوقف والنظر .

- **موقف المستشرقين من أدب العصر الوسيط**

نادراً ماوقف المستشرقون امام أدب العصر الوسيط ، وخصصوا له دراسات مستقلة مثلما فعلوا مع الأدب الجاهلي والاسلامي والعباسي والاندلسي والفاطمي والايوبي، حتى بعد تحقيق ونشر العشرات من الدواوين والمصادر الأدبية والتاريخية التي كُتبت في عصر المماليك، ويلفت النظر هنا ان بعض المستشرقين اضطلعوا بنشر وتحقيق بعض هذه المصادر مثل موسوعة مسالك الابصار لابن فضل الله العمري وهي في (٢٩) مجلدا، فقد تُرجمت اجزاء منها ونشرت على يد المستشرقين أمثال الفرنسي ايتيان كاترمير والايطالي ميخائيل اماري والروسي تيزن هوزن والفرنسي موريس دي مومبين وقدمت المستشرقة الالمانية دوروتيا كرافولسكي دراسة ممتازة عن مخطوطات الكتاب[٢٣]، بينما اعتنى المستشرق الالماني هلموت ريتر عضو جمعية المستشرقين الالمانية بنشر الوافي بالوفيات للصفدي وهو في (٣٠) مجلدا، ويعد المسالك والوافي اهم مرجعين للأدب المملوكي .

ومن الدراسات النادرة التي توقفت امام الادب الوسيط كتابان يمثل الاول رؤية الاستشراق الأوربي ويمثل الأخير رؤية الاستشراق الروسي وكما يأتي :

أولا: كتاب (تاريخ العرب الأدبي) للمستشرق الانكليزي رينولد نيكلسون

نُشر هذا الكتاب للمرة الاولى عام ١٩٠٧، وترجمه الى العربية المترجم العراقي الكبير الدكتور صفاء خلوصي، وقد أرتاى المترجم تقسيمه الى جزءين : الاول بعنوان (تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الاسلام) وصدر عام ١٩٧٠، والثاني بعنوان (تاريخ الأدب العباسي) وصدر قبل الجزء الأول عام ١٩٦٧ [٢٤].

قضّى نيكلسون حياته العلمية كلها في مقاربة التصوف الاسلامي دراسة ونشراً وترجمة، الى حد أنه تأثر بطباع المتصوفة ومواجيدهم، وقدم خدمات جليلة في هذا الجانب، وكان مخلصاً في عمله هذا وبارعاً في ترجمة شعر المتصوفة المكتوب باللغتين العربية والفارسية[٢٥]، وسنجد مصداق هذا الأثر في ثنايا هذا الكتاب حيث خصص وقفة طويلة للشعراء المتصوفة كابن الفارض والبوصيري والحلاج وابن عربي، ومع كل هذا التماهي مع الثقافة العربية والاسلامية لانجد في قائمة المظان التي أوردها نيكلسون بشكل تفصيلي في نهاية الجزء الثاني مصدراً عربياً يتعلق بالعصر المملوكي سوى كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ، الذي ترجمه ايتيان كاترمير للفرنسية، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، وقد اشرنا سلفا الى جهود المستشرقين الاوربيين في ترجمة ونشر مسالك الابصار والوافي بالوفيات، ولكن نيكلسون بدل ذلك فضل الاعتماد على جهود السير وليم موير في كتابه (تاريخ دولة المماليك في مصر) .

ومايهمنا في البحث هو الجزء الثاني من الكتاب الذي يشمل الأدبين العباسي والاندلسي وأدب مابعد الغزو المغولي، ويقسم الى مدخل وخمسة فصول جمعت أخلاطاً من التاريخ والفلسفة والتصوف والفقه والحديث النبوي والجغرافية واللغة والنقد والأدب بنوعيه الشعر والنثر، وعلى ذلك يمكن عده كتاباً عن الحضارة العربية، وسنركز حديثنا أكثر عن الفصل الخامس الخاص بالحقبة التي تلت الغزو المغولي، وهو فصل متمم للعصر العباسي لأن الخلافة العباسية انتقلت الى مصر بعد غزو المغول حتى وإن كانت خلافةً صورية [٢٦] .

ويتضمن الجزء الثاني طروحات كثيرة من ابرزها :

١- يرى نيكلسون ان الأدب الجاهلي هو تعبير صادق عن حياة البداوة، وان شعراء صدر الاسلام لم يتمكنوا من تغيير نهج القصيدة الجاهلية، بينما تعلق الشعراء الامويون بقوة بالانموذج الجاهلي وتابعهم النقاد اللغويون في اوائل العصر العباسي، وقد ثار بعض الشعراء العباسيين على ذلك الانموذج كأبي نواس وراح يسخر من القصيدة الجاهلية [٢٧]، ويستشهد نيكلسون هنا بقول ابي نواس:

(دع الأطلال تسفيها الجنوبُ وتُبلي عهد جدتها الخطوبُ

وخلِّ لراكب الوجنـــاءِ أرضاً تخبُّ بها النجيبةُ والنجيب

بـــلادٌ نبتُها عـــشرٌ وطلحٌ وأكثرُ صيدِها ضبعٌ وذيب

ولا تأخذْ عن الأعـرابِ لهواً ولا عيشاً فعيشُهمُ جديب) [٢٨]

٢- يشير المؤلف الى أن الشعر المحدث صادف هوى عند بعض النقاد كابن قتيبة الذي رأى ضرورة الموازنة بين القديم والمحدث، ثم اشتد تيار الشعر المحدث فيما بعد، وأتى جيل من النقاد قدموا المحدث على القديم مثل الثعالبي وابن رشيق، وبحلول القرن الخامس الهجري حسم الصراع لصالح الشعر المحدث، وان الشعر العباسي ماكان له ان يزدهر لولا دخول العنصر الفارسي ورعاية الخلافة ، ورأى نيكلسون أن هناك خمسة شعراء يمثلون تطور الشعر العباسي هم مطيع بن إياس وأبو نواس وأبو العتاهية والمتنبي والمعري[٢٩]، فضلا عن شعراء اخرين درسهم كأبي تمام والبحتري وابن المعتز والطغرائي، واللافت انه يضع البوصيري معهم مع انه شاعر مملوكي او شاعر من العصر المغولي حسب تصنيف نيكلسون اذ انه توفي سنة (٦٩٦هـ) .

٣- كرر نيكلسون رؤيته ذاتها فيما يتعلق بالشعر الاندلسي، فقد حصلت خصومة بين القديم والمحدث انتهت الى سيادة المحدث، والفضل هذه المرة يعود الى تمازج الاعراق في الاندلس وجمال الطبيعة، وهذا ماجعل الشعر الاندلسي أقرب الى الذوق الاوربي من الشعر المشرقي، ونوه باختراع الاندلسيين للزجل والموشح [٣٠]، واقتصر اختياره من الشعراء على ابن خلدون .

٤- اما الحقبة التي تلت الغزو المغولي فيرى نيكلسون ان الغزو قضى على الازدهار في بغداد مركز الخلافة، وانعش حكم المماليك في مصر والشام، فلما جاء العثمانيون وقضوا على المماليك انتكس المشرق العربي كله (... وقد يكون من العبث في مثل هذه الظروف البحث عن أي تطورات عظيمة في الأدب والثقافة جديرة بالوقوف عندها على نحو ماوجدناه في الماضي؛ فهذا عصر محاكاة وتصنيف... وباستثناء حالة أو حالتين بارزتين – كالمؤرخ ابن خلدون والمتصوف الشعراني لايمكننا ان نشير الى أي تحول جديد وأي افكار مثمرة وأي أثر لتفكير أصيل نير ... واحتفظ العربي بنظرته وطريقة تفكيره القروسطية ولم يكن اكثر استفادة بأي حال من أجداده الذين عاشوا في ظل الخلافة

العباسية)[٣١]، ويشدد نيكلسون على ان التراجع لم يشمل المشرق وحده بل امتد الى الاندلس والمغرب العربي واستمر ذلك حتى انفتح العرب على الحضارة الاوربية [٣٢].

ونحن نفهم هنا دواعي التنويه بالامام عبد الوهاب الشعراني فهو يرتبط بما بيناه سابقا من تماهي المؤلف مع احوال المتصوفة، ونفهم الاشادة بابن خلدون كونه المؤسس لعلم الاجتماع، وان أراءه في العمران البشري وجدت صدى واسعاً في أوربا، وقد توقف نيكلسون ثانيةً ليكيل الثناء على الرجلين فوصف الشعراني بالمفكر الاصيل الذي أمتد تأثيره حتى الوقت الحاضر[٣٣]، وامتدح ابن خلدون بسبب رؤيته النقدية للتاريخ (وقد اكتشف هذا العبقري أصولاً واساليب كان من المتوقع ان تحدث ثورة في العلم التاريخي، فلا هو استطاع ان يضعها موضع العمل ولا أوحت الى الذين جاءوا بعده، كما دلت الحوادث، بترك الطريقة التقليدية ولايمكنني أن أتخيل أي ظاهرة أكثر حسماً وفصلاً في البطء الذهني والكسل العقلي اللذين غرق فيهما الاسلام الان ...)[٣٤] .

ان هذا المسار التاريخي للأدب العربي وهو جزء من تنامي حركية الحضارة العربية ككل لم يستقر في ادبيات الاستشراق الغربي، وسيقر نيكلسون في نهاية كتابه ان الثقافة الغربية لم تمس إلا سطح الاسلام ولم تتغلغل فيه، ومازالت تنجر الى اهداف ثانوية تتمثل في كره واحتقار المسلمين [٣٥] وهذا شجاعة أدبية تحسب للمؤلف .

ويبدو أن حالة عدم اليقين تطرد اكثر حين يقف نيكلسون قبالة شعراء العصر الوسيط (يكاد شعراء هذه الفترة يكونون مجهولين في أوربا ومن التسرع أن نؤكد أنه ليس بينهم من يرتفع فوق المستوى الاعتيادي إلا اذا درسوا باهتمام كاف، وانطباعي في نفس الوقت (ويجب ان اعترف بأنه قائم على اطلاع غير مترابط وغير متكامل على اعمالهم) ان خير من فيهم مجرد فنان أنيق كامل يتلاعب بالالفاظ والعبارات ببراعة ولاشيء سوى ذلك)[٣٦]، وان هذه المهارة اللغوية لايمكن ان ترتفع لتشكل عبقرية شعرية دون اسناد من قوة السبك الموجودة في شعر المتنبي أو النفس الفلسفي في شعر المعري أو الحماسة الصوفية في شعر ابن الفارض [٣٧].

رأي نيكلسون في صفي الدين الحلي

يتخذ نيكلسون من الحلي انموذجاً وحيداً للأدب العربي (الفصيح) في العصر الوسيط (ويسمى ايضا العصر المغولي أو المملوكي أو عصر الدول المتتابعة) ذلك ان صورة هذا العصر لم تكتمل في أذهان المستشرقين في أوائل القرن العشرين ورضوا بالاحكام العامة المأخوذة من السياق

التاريخي الخاص ببربرية المغول وتدميرهم لمظاهر الحضارة الاسلامية في بغداد وكذلك الصراع الدامي ابان الحملات الصليبية في بلاد الشام ومصر .

يقتبس نيكلسون رأيه الخاص بالحلي من كتاب فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي: (... وقد وصِف بأنه ((شاعر عصره على الاطلاق)) واذا ماحكمنا عليه بمقتبسات من ((فوات الوفيات)) للكتبي فقد جمع دقة الخيال مع منتهى اليسر والعذوبة في النظم، على أن الكثير من مقطوعاته عرض براعة كقصيدته في النبي (ص) التي استخدم فيها ١٥١ صورة بلاغية أو كما في قصيدة اخرى حيث الاسماء كلها مصغرة ، والنموذج الأتي من شعره أوجز من أن يبين مكانته :

كيفَ صبــري وأنتَ للعين قُرة وهي ما إن تراكَ في العامِ مرهْ

وبمـــــاذا يُسـرُ قلبي إذا غبـ ـتَ إذا كُنـــتَ للقلــوبِ مَسره

قسماً بالذي أفاضَ على طَـــلـ ـعتكَ النور فهي للشمسِ ضَره

إن يوماً أرى جَمـــالَكَ فِيـــهِ هو عندِي في جَبهةِ الدهرِ غُرَّه

ايها المُعرض الذي هان عندي تعبي فيه واحتمـــال المضـره

راقب الله في حشاشــة نفســي إنه لا يضـــيع مثقـــال ذره) [٣٨]

واذا وقفنا مع هذا اللمحة الموجزة عن الحلي لمعرفة مراميها نجد الاتي :

١- يصح هنا قول نيكلسون انه قليل الاطلاع على أدب وأدباء هذا العصر، فلم يكن ابن شاكر الكتبي سوى ناقل لرأي صلاح الدين الصفدي الذي لقي الحلي مراراً وروى عنه اشعارا كثيرة في كتابيه الوافي بالوفيات وأعيان العصر ورأى أنه (شاعر عصرنا على الاطلاق)[٣٩]، وقبل الكتبي والصفدي قدم ابن فضل الله العمري شاعرنا الحلي على من سواه من معاصريه[٤٠]، وهكذا فإن تفضيل الحلي موضع اتفاق بين كبار مؤرخي ادب العصر الوسيط ولم يكن رأيا خاصاً بالكتبي.

٢- رأي نيكلسون مضطرب في شعر الحلي فهو يذهب احياناً مع رأي معاصري الشاعر في دقة الخيال واليسر والعذوبة، وهو يقصد هنا الاتجاه الشعري المطبوع المحافظ على عمود

الشعر، ونجد مصداق ذلك في بعض اماديح الحلي كقصيدته البائية في سلطان المماليك محمد بن قلاوون، وقافيته في السلطان المنصور حاكم ماردين، وبعض قصائده في الفخر كنونيته الذائعة التي افتخر فيها بقومه، وشيئا من مراثيه كنونيته في رثاء أخيه عبد الله، ورائيته في رثاء السلطان محمد بن قلاوون [٤١]

ولكن نيكلسون يستدرك ان شعر الحلي ماهو الا عرض براعة ومثالها مدحة نبوية استخدم فيها (١٥١) فناً بديعياً، وهو يقصد هنا الكافية البديعية وهي قصيدة ميمية من المديح النبوي تقع في (١٤٥) بيتاً جمع فيها الحلي (١٥١) فناً بديعياً ويقول في مطلعها :

(إنْ جِئتَ سَلعاً فَسلْ عن جَيرةِ العَلَمِ وَاقرأ السَّلامَ على عُربٍ بذي سلَمِ
فَقَدْ ضَمِنتُ وُجـودَ الدَمعِ من عَدَمِ لَهُم ولمْ أستَطِعْ معْ ذاكَ مَنعَ دَمي
أبَيْتُ والدَّمــعُ هَـامٍ هَامِــلٌ سَرِبٌ والجِسْمُ في إِضَـمٍ لَحْمٌ على وَضَم
منْ شَانُهُ حَمْلُ أعْبَاءِ الهَوى كَمَداً إذا هَمَى شَانُــهُ بالدَّمعِ لَمْ يُلَم) [٤٢]

٣- ضرب نيكلسون مثالاً أخر على (عرض البراعة) في شعر الحلي نقلاً عن فوات الوفيات وهي قصيدة غزل ترد كل الاسماء فيها مصغرة يقول الحلي في مطلعها :

(نُقَيطٌ منْ مُسيْكٍ في وريدٍ خُوَيْلُكَ أم وُشَيْمٌ في خُدَيدِ
وَذَيَّاكَ اللُوَيْمُعُ في الضُّحَيَّا وُجَيْهُكَ أم قُمَيْرٌ في سُعَيِد
وُجيْهُ شُوَيْـدِنٍ فِيهِ شُكَيْلٌ أدَقُّ مُعَيْنِيَاتٍ منْ خُوَيْد)[٤٣]

يقصد بعرض البراعة في المثالين الاتجاه الشعري الذي ساد في نهايات العصر العباسي وماتلاه ويتمثل في الألاعيب والرياضات اللغوية والذهنية كالاهمال والاعجام ولزوم مالايلزم والاحاجي والالغاز وحساب الجمل والاستخدام المفرط لفنون البديع وغيرها من الوان النظم المصنوع المتكلف الدال على ضعف القرائح وانحسار المواهب الشعرية الفذة .

وقد جمع الحلي في شعره الاتجاهين معا وتفوق في كليهما وهذا مبعث تقديم المعاصرين له، ومكمن اختيار نيكلسون له وحده ممثلاً عن ادب العصر الوسيط .

ثانيا : كتاب الأدب العربي للمستشرق الروسي اسحق فيلشتنسكي

كان المستشرقون الروس – حتى مطلع القرن العشرين – أقل عناية بالاداب الشرقية من نظرائهم الأوربيون[٤٤]، ويقع تاريخ الأدب العربي في اطار هذا التوصيف، فنحن بالكاد نتلمس اتجاهاً صادقاً مدعوماً بنظرة شمولية فاحصة للأدب العربي، وظلت دراسات اغناطيوس كراتشكوفسكي عن الشعر والنثر والنقد العربي قديمه وحديثه هي الأبرز، وهي مع كثرتها وتنوعها واعتبارها المحاولة الروسية الأنجع في مقاربة المدونة الأدبية العربية لكنها – فيما يخص الأدب العربي القديم – توسم بالعمومية [٤٥]، ثم هناك جهود اغافانغال كريمسكي المعروف بسعة الاطلاع وكثرة التصنيف في التراث العربي، ولديه كتب عديدة منها تاريخ العرب والأدب العربي في ثلاث مجلدات وكتاب تاريخ الأدب العربي الحديث وهو عن أدب القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وهما ذات طابع مدرسي [٤٦] .

كرس اسحق فيلشتنسكي حياته العلمية لدراسة الأدب العربي وصنف في تاريخه كتباً عديدة منها الأدب العربي في العصور الوسطى، وتاريخ الأدب العربي من بداية القرن العاشر، والأدب العربي في العصور الوسطى في القرنين الثامن والتاسع، والشعر العربي الكلاسيكي وغيرها[٤٧]، ولم يترجم من كتبه الى اللغة العربية غير كتاب (الأدب العربي) الذي صدر بالروسية عام ١٩٦٦ وترجمته الى الانكليزية هيلدا كاسانينا، أما الترجمة الى العربية فقام بها الاستاذ كاظم سعد الدين اعتمادا على النص الانكليزي، وصدرت عن دار المأمون للترجمة والنشر في بغداد سنة ٢٠١٢، وهي طبعة فيها العديد من الهفوات الطباعية التي أضرت بالكتاب، ولانعرف ماهي المصادر التي اعتمدت في الكتاب فقد أغفل المؤلف ذكرها .

ويمكن عد هذا الكتاب انموذجاً لرؤية الاستشراق الروسي لتاريخ الأدب العربي، بما يمثله من العمومية والطابع المدرسي والاتكاء على الاستشراق الغربي، وقد قسم فيلشتنسكي كتابه تقسيماً زمنياً الى مقدمة وخمسة فصول تناول فيها الأدب العربي من العصر الجاهلي وانتهاء بالعصر الوسيط ، وقد بيّن في المقدمة شيئا عن العرب وتاريخهم وأدبهم بدءاً من الجاهلية وحتى الاحتلال العثماني [٤٨] .

ارتأى فيلشتنسكي تقسيم الأدب العربي في العصور الوسطى الى حقبتين:

- الأولى / حقبة الأدب الشفوي وتبدأ من القرن الخامس الميلادي وتنتهي في القرن السابع الميلادي، وهي تشمل الشعر الجاهلي وصدر الاسلام دون ان يتطرق للنثر وتناولها في فصل واحد، ووصف المؤلف هذا الشعر بالحيوية والأصالة والكمال الأسلوبي ثم شرح باسهاب موضوعات الشعر، واصطفى من هذه الحقبة شعراء المعلقات وشعراء أخرون مثل المهلهل والشنفرى وتأبط شراً وكعب بن زهير وحسان بن ثابت [٤٩] .
- الثانية / حقبة الأدب المدون وتبدأ من القرن الثامن وتنتهي في القرن الثامن عشر وقد تناولها في اربعة فصول، وفيها اضطرب الشعر اضطراباً كبيراً بين التجديد والتقليد، وكما يأتي :

١- كانت الفترة الأموية شاهدة على التقليد، فقد شجع الخلفاء الأمويون الشعراء على احياء تقاليد الشعر البدوي (الجاهلي) للمحافظة على الثقافة العربية النقية، وبرز في الفترة الأموية شعر الاحزاب السياسية ويتزعمه الاخطل والفرزدق وجرير وابن قيس الرقيات والكميت والطرماح، وشعر الغزل الحجازي بنوعيه : البدوي ومثّله جميل بثينة والمجنون، والحضري ومثّله عمر بن ابن ربيعة، وشعر الطبيعة ومثّله ذي الرمة، وازدهر في النثر فني الخطابة والرسائل [٥٠].

٢- يطلق فليشتنسكي تسمية العصر الذهبي على الفترة العباسية الممتدة من منتصف القرن الثامن وحتى القرن الثاني عشر الميلادي، وفيها ثلاث مراحل أدبية : مرحلة التجديد (بشار وأبو نواس وأبو العتاهية وابن المقفع) ، ومرحلة العودة الى القديم (ابو تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز والجاحظ) ، ومرحلة المزاوجة بين الاثنين(المتنبي وأبو فراس الحمداني والشريف الرضي والمعري وبديع الزمان الهمذاني والحريري) [٥١] .

٣- خصص المؤلف فصلاً مستقلاً للأدب الأندلسي ويمتد من القرن الثامن حتى القرن الخامس عشر الميلادي، وفيه ايضا ثلاث مراحل: مرحلة المحاكاة (ويسميها المؤرخون عصر ازدهار قرطبة) وفيها تقليد للشعر العباسي، ونبغ فيها ابن عبد ربه وابن هانىء وابن شُهيد، ومرحلة التجديد (عصر ملوك الطوائف) اصبح فيها الشعر اندلسياً خالصاً، ونبغ فيها ابن حزم وابن زيدون والمعتمد بن عباد وابن حمديس وابن خفاجة، ومرحلة الانحطاط (عصر المرابطين والموحدين) وفيها تراجع الشعر الفصيح

وازدهر الشعر الشعبي (الموشح والزجل) ونبغ فيها ابن قزمان وابن سهل وابن الخطيب [٥٢].

٤- كان الفصل الاخير من الكتاب مخصصاً للفترة من القرن الثالث عشر حتى الثامن عشر الميلادي، وهي فترة يعدها فيلشتنسكي نهاية العصور الوسطى، ويرى ان الأدب العربي تدهور فيها ولكن بتحفظين الأول : ان هذا التدهور شمل العراق فقط في بادىء الأمر حيث عانى من الحكم السلجوقي ثم الاجتياح المغولي ولم يعد الى سابق عهده حتى عصر النهضة، بينما تقدمت مصر وبلاد الشام اقتصادياً وثقافياً بفضل جهود السلاطين المماليك، ولكن التدهور ضرب بأطنابه كل البلدان العربية باحتلال العثمانيين لمصر مطلع القرن السادس عشر الميلادي وحتى بداية القرن التاسع عشر، والتحفظ الثاني : ان التدهور اصاب أدب البلاط فقط بسبب عجمة الحكام وعدم تشجيعهم للأدب العربي، بينما ازدهر الأدب الشعبي في المدن العربية[٥٣]، ويقصد به هنا الموشح والزجل والمواليا والدوبيت والبند وغيرها، ونبغ من الشعراء في هذه الفترة البهاء زهير وشرف الدين البوصيري وصفي الدين الحلي وابن نباتة، وازدهر إبان هذه الفترة الشعر الصوفي ويعد ابن الفارض والامام الشعراني وعبد الغني النابلسي خير انموذج لهذا الشعر، ويمكن عد مؤلفات القلقشندي وألف ليلة وليلة والسيرة الهلالية تمثيلاً حقيقيا للنثر العربي في هذه الفترة [٥٤] .

رأي فيلشتنسكي في صفي الدين الحلي

يذهب المؤلف الى القول ان التراجع في شعر العصر الوسيط لم يكن مفاجئاً، بل انه يعود الى فترة ازدهار فن المقامات في القرن الخامس للهجرة ومابعده حيث انصب الاهتمام على الشكل دون المضمون، ولذلك اصبح شعر العصر الوسيط (شعر محاكاة وازدهر ذوقٌ بأسلوب منمق، مزخرف، وتحسين في الشكل، وكان ناظمو الشعر الذين احرزوا شيئا من البراعة في الالمام باللغة والعروض، لايهتمون الا قليلاً بمعنى أعمالهم فقد انشغلوا بالمجازات والتشبيهات غير المألوفة ... ووجدت اشكال من اللهجة والكلمات العامية غير العربية طريقها في شعر حقبة الانحطاط)[٥٥]، واستعرض

المؤلف أوجه تراجع هذا الشعر موضوعياً وشكلياً متمثلة بانتشار الاحاجي والالغاز والتاريخ الشعري والتشطير والتخميس وازدياد النظم في الموشح والزجل. [٥٦]

يعد فيلتشنسكي الحلي أحد أفضل شعراء العصر الوسيط وهو خير انموذج لشعر عصره، لأن أعماله الشعرية : (تلتزم بالأنواع الشعرية السائدة في العصور الوسطى وتستخدم جميع البحور العربية المعروفة التقليدية، ومابعدها، وكتب ايضاً قصائد من نوع الزجل، وصنعته الشعرية صنعة فنان بارع ... أفاد صفي الدين الحلي افادة واسعة من جميع وسائل الخيال الفني في الشعر التقليدي ... ولم يكتف بهذا العرض البارع في الجرس الشعري، ولم يهدف الى تحقيق المؤثرات الصوتية حسب بل البصرية ايضا فقد نظم شعراً كلماته خالية من النقاط، وعلى الرغم من ثراء لغته وصوره، فإن قصائده لاتكشف عن ذوق أو احساس شعري أصيل)[٥٧]، وان الحلي لم يأت بجديد على صعيد استخدام المحسنات البديعية ولكن براعته تتمثل في الاختيار الذكي للجناس اللفظي والجرس الشعري [٥٨]، ولتوكيد ذلك يستشهد فيلشتنسكي بمطلع النونية الشهيرة لصفي الدين الحلي :

(سَل الرِّماحَ العَوالي عَن مَعالينا واستَشهد البيضَ هَلْ خَابَ الرَجا فينا

إنَّا لقَـــومٌ أبَتْ أخـلاقُنا شَـــرَفاً أنْ نَبتَــدي بِالأذى مَنْ ليــسَ يُؤذينا

بيضٌ صَــنائِعُنا ســودٌ وَقـائعُنا خُضرٌ مَرابِـــعُنا حُمرٌ مَواضـــــينا

لايَظهَرُ العَجزُ مِنّا دونَ نَيلِ مُنًى ولَو رَأيـــنا المَنـــــايا في أمانِينا) [٥٩]

وتتجلى في رؤية فيلشتنسكي للأدب الوسيط مدى التماهي مع رؤية الاستشراق الأوربي، الذي يرى أن هذه الفترة عموماً فترة انحطاط وظلام وانحلال وان أدبها غارق في الرتابة والعقم والجمود، وان التدهور أصاب العراق أولاً بفعل الغزو المغولي بينما ازدهرت مصر وبلاد الشام بجهود المماليك، ثم عمّ التدهور الجميع باحتلال العثمانيين لمصر .

وقد سبق لنا تقرير ان الاستشراق الروسي أكثر انصافاً من مثيله الأوربي في مقاربة الاسلام واللغة العربية، بسبب انتشار الاسلام في بعض المناطق الشرقية لروسيا وبعض بلدان الاتحاد السوفيتي، ولكن هذا الانصاف يتعلق بتاريخ دول اسيا الوسطى كما رأينا في حديث بارتولد عن دور المغول والفرس، أما مايتعلق بتاريخ الأدب العربي فكان الاعتماد على رؤية المستشرقين

الأوربيين الأكثر عمقاً، ويمكن استخلاص نتيجتين تخص رؤية الاستشراق الروسي لأدب العصر الوسيط وهما :

١- ان كتاب فيلشتنسكي هو انموذج لرؤية الاستشراق الروسي للأدب العربي القديم، وهو صورة – مع بعض التصرف– عن كتاب (تاريخ الأدب العربي) لحنا الفاخوري الذي صدر في لبنان عام ١٩٥١، وترجمته جامعة موسكو الى الروسية في الخمسينات [٦٠]، فقد نسخ المؤلف منهج الفاخوري وتصوراته والغالبية العظمى من الشواهد الشعرية والنثرية، وأبعد من ذلك فإن كتاب الفاخوري هو جِماع مصادر عديدة أهمها تاريخ أداب اللغة العربية لجرجي زيدان وقصة الأدب في العالم لأحمد أمين، وسنجد ايضا ان مصنفات زيدان وأمين والفاخوري هي في سمط واحد مع كتب تاريخ الأدب العربي لحسن توفيق العدل وأحمد الاسكندري والزيات، وقد نظرت هذه المصنفات المدرسية الى كتب تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ونيكلسون وبلاشير ونلينو وهاملتون جب وغيرهم، وان هذه السلسة المتصلة تنتهي عند فون هامر برجشتال الذي وضع تاريخاً للأدب العربي في سبعة مجلدات عام ١٨٥٠ [٦١]، ولذلك يصح القول ان موارد فيلشتنسكي هي كتب الاستشراق الأوربي بروحيتها واتجاهاتها .

٢- ثمة اشارة ذات أهمية تعود الى مطلع القرن العشرين تلخص جهود المستشرقين الروس الخجولة في الأداب الشرقية بالمقارنة مع جهود المستشرقين الاوربيين: (كان الروسيون في اثناء ذلك أقل الأوربيين عناية بآداب الشرق)[٦٢]، وجاءت تلك الاشارة بعد قرن كامل من البداية الأكاديمية للاستشراق الروسي توجهت خلالها لدراسة الاسلام واللغة العربية وتاريخ العرب والمخطوطات والمسكوكات والفلسفة والتصوف وبما يناسب توجهات روسيا القيصرية والنفوذ الكبير للكنيسة الشرقية المعادية للاسلام[٦٣]، بينما اقتصرت جهودهم في الأدب العربي على المصنفات المدرسية مثل مصنفات جرجس مرقص وميخائيل يوسف عطايا وكريمسكي[٦٤]، ولعل المقصود بالقليل هنا الجهود الصادقة لاغناطيوس كراتشكوفسكي[٦٥]، وبعد نجاح الثورة البلشفية صدر مرسوم يلغي الدراسات الدينية – ومنها الاسلام – في المدارس الحكومية مما أثر في توجه المستشرقين لدراسة اللغة والأدب العربيين، وكان جُل اهتمام المستشرقين الروس حتى منتصف القرن العشرين في منطقة اسيا الوسطى [٦٦]،

وهكذا نجد ان الاستشراق الروسي في كل مراحله لم يتعمق كفاية في مقاربة الأدب العربي .

- **دواعي نظرة المستشرقين السلبية لأدب العصر الوسيط**

١- لاتخلو هذه النظرة من بواعث سياسية متصلة باستعمار الدول الأوربية للمشرق العربي، والادعاء بعدم أهلية هذه الشعوب لحكم نفسها، وقد علمنا ان حركة الاستشراق بدأت في القرن الثاني عشر الميلادي لدواعي دينية محضة ، ثم تحولت الى الطابع الثقافي في القرن الثامن عشر قبل استعمار الدول العربية وقد عمل الكثير من المستشرقين حينها في الحكومات الأوربية كمستشارين [٦٧] .

٢- كان رأي المستشرقين الروس السلبي تجاه أدب العصر الوسيط صورة من رأي المستشرقين الأوربيين، فقد نقل فليشتنسكي مثلاً رأيه من مصادر عربية نقلت رأيها بالأساس عن المستشرقين الاوربيين، وهكذا نجد أن الروس لم يتعمقوا في دراسة الأدب العربي بالنظر للحيثيات الخاصة بسيطرة الكنيسة المشرقية وتأثيرها في دراسة المستشرقين للاسلام واللغة العربية، ثم جاء البلاشفة بنظرة معادية للأديان أثرت في توجه المستشرقين للغة العربية وأدبها .

٣- كانت حقبة العصر الوسيط شاهدة على استمرار الحملات الصليبية ضد المشرق الاسلامي، وقد انطلقت هذه الحملات بدعوى تنكيل المسلمين بمسيحيي المشرق ولحماية الأوقاف المسيحية ، وقد دونت كتب الحضارة الاسلامية أيام الصراع المرير بين دول الاستعمار الاوربي كفرنسا وانكلترا والمانيا ضد العثمانيين .

٤- ربما تكون نظرة الاستشراق الاوربي هي نتاج الاطلاع على كتب الرحالة الأوربيين وكتب الحروب الصليبية والسرديات التاريخية العربية المتأخرة مثل تاريخ الكامل لابن الأثير والحوادث الجامعة لابن الفوطي والسلوك لمعرفة دول الملوك لتقي الدين المقريزي وغيرها التي قاربت تراجع الاوضاع الثقافية والحضارية بفعل سيطرة أقوام بربرية وأخرى غير متحضرة كالمغول والاتراك والجراكسة والانكسار الحضاري الذي شهدته المنطقة العربية ابتداء من القرن الخامس الهجري وتمثل بالتحول من العلوم العقلية الى النقلية .

٥- ان أغلب كتب الحضارة والتاريخ الاسلامي التي وضعها المستشرقون كتبت إبان السيطرة العثمانية على الدول العربية أو في عهد اسرة محمد علي في مصر ، وحينذاك كانت أغلب المصادر الضخمة التي كُتبت أو صُنفت في العصر الوسيط في غياهب المكتبات العربية والتركية والاوربية مثل صبح الأعشى للقلقشندي ومسالك الابصار لابن فضل الله العمري ونهاية الأرب للنويري وتاريخ الاسلام للذهبي والوافي بالوفيات وأعيان العصر للصفدي والسلوك لمعرفة دول الملوك والخطط المقريزية للمقريزي وغيرها .

- **نتائج البحث**

١- تتسم نظرة المستشرقين الغربيين والروس الى أدب العصر الوسيط بالاضطراب والعمومية، نتيجة قلة الاطلاع على أدب تلك الحقبة، وعدم اكتمال نشر أو تحقيق الدواوين والكتب الموسوعية الضخمة المصنفة في تلك الحقبة .

٢- حملت نظرة المستشرقين ربطاً تقليدياً بين الوقائع التاريخية وازدهار الأدب، فإذا ازدهرت الأوضاع السياسية والاقتصادية وشجع الحكام الأدب والأدباء تطور الأدب، وهكذا كان الحكم العام على أدب العصر الوسيط سلبياً نتيجة الغزو المغولي والحروب الصليبية ووصول المماليك – الذين ينحدرون من أصول غير عربية – الى حكم مصر وبلاد الشام .

٣- يصح القول ان الاستشراق الروسي أقرب الى فهم روحية الاسلام من الاستشراق الأوربي، بسبب انتشار الاسلام في بعض مناطق روسيا ودول الاتحاد السوفيتي سابقا، ولكن هذه النظرة لايمكن تعميمها لتشمل فهم الأدب العربي، فقد كانت الدراسات الأوربية اكثر نضجاً من الدراسات الروسية، ومبعث ذلك تراكم خبرة الأوربيين الطويلة بالاسلام واللغة العربية وتحقيق التراث العربي ونشره وتغلغلهم في المدن العربية وتدريسهم في بعض الجامعات العربية، بينما كانت الدراسات الروسية محتشمة بسبب تأخر الانطلاقة الحقيقية للاستشراق الروسي والضغط الكنسي على الدارسين والنظرة الماركسية السلبية للأديان والتركيز على دراسة الاسلام في دول اواسط اسيا، ولذلك جاء تقييم الاستشراق الروسي للأدب العربي تبعاً لتقييم الاستشراق الأوربي .

- **الهوامش**

(1) ينظر: حضارة العرب ، غوستاف لوبون ، ترجمة عادل زعيتر ، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٣، القاهرة ، ص ٦٠٣

(٢) المصدر نفسه ٦٣٩ .

(٣) قصة الحضارة (عصر الايمان) ، ول ديورانت ، ترجمة محمد بدران، دار الجيل ، بيروت، مج ١٣/ ٣٨٧ .

(٤) أدباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث ، بطرس البستاني، دار نظير عبود، بيروت، ٢١٣ .

(٥) الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) ، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٠٢٦ .

(٦) ينظر : عصر الانحدار، محمد اسعد طلس ، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠٢١، ص ١٣٥ .

(٧) ينظر : صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة ، جعفر الخياط، وزارة الاعلام، بغداد، ط١، ١٩٧١، ص ٢٦

(٨) اعلام الأدب في العراق الحديث ، مير بصري، دار الحكمة، لندن، ط١، ١٩٩٤، ٢٧/١ .

(٩) ينظر : المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٦٤، ٩١٧/٣ .

(١٠) ينظر : الاستشراق الروسي ، د. محمد يحيى خراط ، بحث في مجلة المعرفة، دمشق، وزارة الثقافة السورية، العدد ٩٦٨ ، كانون الثاني، ٢٠١١، ص ١٠٥

(11) ينظر : تاريخ الاستشراق الروسي من العهد القيصري الى العصر الحالي ، د. طارق احمد شمس، بحث في مجلة العربي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، العدد ٧٣٧ ، كانون الثاني، سنة ٢٠٢٠، منشور على موقع المجلة على الرابط : تاريخ الاستشراق الروسي من العهد القيصري إلى العصر الحالي(nccal.gov.kw)

(٢١) ينظر : الاستشراق الروسي (دراسة تاريخية شاملة) ، د. سعدون محمود الساموك، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣، ص ٩٥

(٣١) ينظر : تاريخ الاستشراق الروسي من العهد القيصري الى العصر الحالي ، منشور على الرابط : تاريخ الاستشراق الروسي من العهد القيصري إلى العصر الحالي(nccal.gov.kw)

(٤١) ينظر : المستشرقون ٩١٦/٣ .

(٥١) ينظر : موسوعة المستشرقين ، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٩٣، ١٣٢ .

(٦١) ينظر : الاستشراق الروسي (دراسة تاريخية شاملة) ١٢٥ .

(٧١) ينظر : المستشرقون ٩٤٣/٣ ، والاستشراق والاستعراب الروسي (المرحلة التأسيسية)، ميثم الجنابي، المركز الاكاديمي للابحاث، بيروت، ط١، ٢٠١٩، ص ١٨٢ ومابعدها .

(81) ينظر : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ف بارتولد ، ترجمة حمزة طاهر، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٥٢،٤٥ .
(91) ينظر : المصدر نفسه ٥٥ .
(٢٠) ينظر :المصدر نفسه ٩٠ ومابعدها .
(٢١) المصدر نفسه ٩٢ .
(٢٢) ينظر : المصدر نفسه ٩٠ ومابعدها .
(٢٣) ينظر : مسالك الابصار لابن فضل الله العمري (مقدمة التحقيق)، تح كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠، ٩١/١ ومابعدها .
(٢٤) ينظر : تاريخ الأدب العباسي ، رينولد نكلسن، ترجمة وتحقيق د. صفاء خلوصي ، مطبعة أسعد ، بغداد، ١٩٦٧، ص (أ) .
(٢٥) ينظر : في التصوف الاسلامي وتاريخه، رينولد نيكولسون، ترجمة وتعليق ابو العلا عفيفي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧، ص (ن) ، والمستشرقون ٥٢٥/٢ ، وفلسفة الاستشراق ٣٢٦ .
(٢٦) ينظر : تاريخ الأدب العباسي ، ص ٢٦٤
(٢٧) ينظر : المصدر نفسه ٥٧ .
(٢٨) ينظر : المصدر نفسه ٥٨ ، وديوان ابي نواس ، تحقيق احمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، ص١١ .
(٢٩) ينظر : تاريخ الادب العباسي ٥٩ ومابعدها .
(٣٠) ينظر : المصدر نفسه ٢٣١ ومابعدها .
(٣١) المصدر نفسه ٢٦٤ .
(٣٢) ينظر : المصدر نفسه ص ٢٦٥ .
(٣٣) ينظر : المصدر نفسه ص ٢٩٢ .
(٣٤) المصدر نفسه ٢٧٧ .
(٣٥) ينظر : المصدر نفسه ٢٩٩ .
(٣٦) المصدر نفسه ٢٧٢ .
(٣٧) ينظر : المصدر نفسه ٢٧٢ .
(٣٨) المصدر نفسه ٢٧٢ – ٢٧٣ ، وديوان صفي الدين الحلي ، تحقيق محمد مظلوم ، منشورات الجمل ، بيروت وبغداد، ٢٠١٦، مج١/ ٤٩٢ .
(٣٩) الوافي بالوفيات ٤٨٢/١٨، واعيان العصر ٦٩/٣ .
(٤٠) ينظر : مسالك الابصار ١٦/ ٢٤١ .
(٤١) ينظر : ديوانه ١/ ١٣٩ ، ١/ ١٦٤، ١/ ٦٤ ، ٤١٤/١، ١ / ٤٢٧ .
(٤٢) ينظر : ديوانه مج ٢/ ٢٥١ .
(٤٣) فوات الوفيات ٣٣٨/٢ ، وديوانه ١/ ٣٣١ .
(٤٤) ينظر : تاريخ اداب اللغة العربية، جرجي زيدان، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٣ ، ١٣٦٢/٤ .
(٤٥) ينظر : الاستشراق الروسي ٢٠٢ .
(٤٦) ينظر : المستشرقون ٣/ ٩٤٦ .
(٤٧) ينظر : الأدب العربي ، فيلتشنسكي ، ترجمة كاظم سعد الدين ، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد ، ٢٠١٢ ، ص ٩ .

(٤٨) ينظر : المصدر نفسه ١٣ ومابعدها .
(٤٩) ينظر : المصدر نفسه ١٣ ومابعدها .
(٥٠) ينظر : المصدر نفسه ٨٧ ومابعدها
(٥١) ينظر : المصدر نفسه ١٢١ ومابعدها
(٥٢) ينظر : المصدر نفسه ٢٦١ ومابعدها
(٥٣) ينظر : المصدر نفسه ٢٧٩ ومابعدها
(٥٤) ينظر : المصدر نفسه ٢٨٥ ومابعدها
(٥٥) المصدر نفسه ٢٨٣ ومابعدها
(٥٦) ينظر : المصدر نفسه ٢٨٤ .
(٥٧) المصدر نفسه ٢٨٦
(٥٨) ينظر : المصدر نفسه ٢٨٧ .
(٥٩) المصدر نفسه ٢٨٧ ، وديوانه ٦٤/١ .
(٦٠) ينظر : الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) ، حنا الفاخوري، دار الجيل ، بيروت، ط١، ١٩٨٦، ص ١٠٨٤ .
(٦١) ينظر : المستشرقون ٢/ ٦٢٩ .
(٦٢) تاريخ أداب اللغة العربية، جرجي زيدان، مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٣، ٣/ ١٣٦٢
(٦٣) ينظر : الاستشراق الروسي (دراسة تاريخية شاملة) ، ٦٥ .
(٦٤) ينظر : المستشرقون ٣/ ٩٣٠ .
(٦٥) ينظر : المستشرقون ٣/ ٩٤٩ .
(٦٦) ينظر : فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ٢٢٣
(٦٧) ينظر : تحقيق التراث العربي / منهجه وتطوره ، الدكتور عبد المجيد دياب، دار المعارف بمصر ١٧٧- ١٨٠ .

- **المصادر**

١- الأدب العربي ، أ.م فيلتشنسكي ، ترجمة كاظم سعد الدين ، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد ، ٢٠١٢ .

٢- أدباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث ، بطرس البستاني، دار نظير عبود، بيروت .

٣- الاستشراق الروسي (دراسة تاريخية شاملة)، د. سعدون محمود الساموك، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣ .

٤- الاستشراق الروسي، د. محمد يحيى خراط، بحث في مجلة المعرفة، دمشق، وزارة الثقافة السورية، العدد ٩٦٨ ، كانون الثاني، ٢٠١١ .

٥- الاستشراق والاستعراب الروسي (المرحلة التأسيسية)، ميثم الجنابي، المركز الاكاديمي للابحاث، بيروت، ط١، ٢٠١٩ .

٦- اعلام الأدب في العراق الحديث ، مير بصري، دار الحكمة، لندن، ط١، ١٩٩٤ .

٧- تاريخ اداب اللغة العربية، جرجي زيدان، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٣ .

٨- تاريخ الأدب العباسي، رينولد نكلسن، ترجمة وتحقيق د. صفاء خلوصي ، مطبعة أسعد ، بغداد، ١٩٦٧ .

٩- تاريخ الاستشراق الروسي من العهد القيصري الى العصر الحالي ، د. طارق احمد شمس، بحث في مجلة العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت ، العدد ٧٣٧ ، كانون الثاني، سنة ٢٠٢٠، منشور على موقع المجلة على الرابط : تاريخ الاستشراق الروسي من العهد القيصري إلى العصر الحالي (nccal.gov.kw) .

١٠- تاريخ الحضارة الاسلامية ، ف بارتولد ، ترجمة حمزة طاهر، دار المعارف بمصر، ط٢ .

١١- تحقيق التراث العربي / منهجه وتطوره ، الدكتور عبد المجيد دياب، دار المعارف بمصر .

١٢- الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) ، حنا الفاخوري، دار الجيل ، بيروت، ط١، ١٩٨٦ .

١٣- حضارة العرب ، غوستاف لوبون ، ترجمة عادل زعيتر ، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٣

١٤- ديوان ابي نواس ، تحقيق احمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت .

١٥- ديوان صفي الدين الحلي ( ) ، تحقيق محمد مظلوم ، منشورات الجمل ، بيروت وبغداد، ٢٠١٦ .

١٦- صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة ، جعفر الخياط، وزارة الاعلام، بغداد، ط١، ١٩٧١ .

١٧- عصر الانحدار، محمد اسعد طلس ، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠٢١ .

١٨- فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دكتور احمد سمايلوفيتش، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٨٠ .

١٩- في التصوف الاسلامي وتاريخه، رينولد نيكولسون، ترجمة وتعليق ابو العلا عفيفي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧ .

٢٠- قصة الحضارة (عصر الايمان) ، ول ديورانت ، ترجمة محمد بدران، دار الجيل ، بيروت .

٢١- مسالك الابصار لابن فضل الله العمري، تح كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠ .

٢٢- المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٦٤ .

٢٣- موسوعة المستشرقين ، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٩٣ .